أهمية الهجرة في القرآن

Oleh :
Ahmad Hidayat
(Dosen Fakultas Syari'ah dan Ekonomi Islam IAIN SMH Banten)

Abstrak :

Haditsah (peristiwa) penting terjadi dalam dunia Islam bahkan dalam universum ini, sebuah momentum bersejarah itu adalah Hijrah (migrasi) Rasulullah s.a.w. bersama para loyalisnya dari bumi Makkah yang tidak kondusif untuk dakwah Islamiyah menuju bumi Yatsrib (Madinah) yang dalam perspektif Rasulullah relati kondusif untuk membumikan Islam.

Logika Islam dalam konteks hijrah ini adalah apresiasi terhadap qanun sababiyah (hukum kausalitas). Ketika sebuah cita-cita di canangkan maka media-media menuju cita-cita itu dilalui. Dengan Hijrah itulah kemudian Rasulullsh s.a.w. berhasil menjalankan dakwah Islamiyah. Ada sebab ada akibat. Dengan sebab Hijrah akibatnya dakwah sukses.

Komitmen untuk Hijrah sesunguhnya telah ada sejak beberapa bulun sebelumnya yaitu pada bulan Muharram. Baru pada bulan Rabi'ul Awal Rasulullah s.a.w. merealisasikan Hijrahnya. Sebab itulah kemudian para Ilmuan Islam memulai penangalan Hijriyah dari bulan Muharram. Al-Qur`an yang mulia merilis akan keagungan reward orang-orang yang melaksanakan Hijrah ini.

Kata Kunci : *Hijrah, Qanun Sababiyah, Makkah, Madinah, Penaggalan Hijriyah, Reward.*

مقدمة

إن الهجرة هي رحلة وليس عملاً ترفيهيًا، ولم تكرَّم الهجرة لكونها سفرًا فحسب؛ فما أكثر المسافرين قديمًا وحديثًا بين مكة والمدينة.

إن الشيء الواحد قد يكون عملاً مضنيًا أو لعبًا مريحًا مسليًا، فالمظهر والشكل لا يتغير، لكن الذي يتغير هو البواعث والجوهر والملابسات.

فصيد السمك رياضة مرحة يلهو بها بعض المترفين الناعمين، بينما هو عند أناس آخرين حرفة يرتزقون منها مع الكدح والمكابدة، والرحلة من قطر إلى قطر قد تكون للتنعم والاسترواح، وقد تكون مشيًا في مناكب الأرض لتحصيل علم، أو جمع رزق، أو فرارًا من شر محظور إلى خير منظور.

وهكذا كانت الهجرة.. خطواتٌ يتحرك بها القلب المؤمن في الحياة؛ فتتحرك في ركابها الثقة الغالية والتضحية النبيلة، إنها طريق الأبطال تزدحم بالفدائيين من حملة العقائد، يتركون البلد الذي اضطُهد دينهم فيه ليلتمسوا في مهجرهم مأمنًا لعقيدتهم ومتنفسًا لدينهم، ويقيموا فيه مجتمعا يحتضن الشعائر والشرائع.

آيات الهجرة

إن الذين توفاهم الملآئكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (97) إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (98) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (99) ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما. (النساء: 4/97-100).

المعنى العام

أخبر الله تعالى في هذه الآيات أن المؤمنين الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا جهدهم في مقاومة الكفار أعداء الله، هم الذين يرجون رحمة الله وإحسانه، وهم جديرون بهذا الفضل والعطاء لأنهم استفرغوا ما في وسعهم، وبذلوا غاية جهدهم في مرضاة الله، فحق لهم أن ينالوا الفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

أسباب النزول

نزول الآية (97):

[إن الذين توفاهم]: روى البخاري عن ابن عبّاس أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله، فيأتي السهم يرمى بهفيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: [إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم].

وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل المدينة قد أسلموا وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأصيب بعضهم، فقال: هؤلاء كانوا مسلمين، فأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: [إن الذين توفاهم الملائكة] الآية، فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم، وأنه لاعذر لهم، فخرجوا، فلحق بهم المشركون، ففتنوهم فرجعوا فنزلت: [ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله] العنكبوت: 10/29 فكتب إليهم المسلمون بذلك، فتحزنوا، فنزلت: [ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا] النحل:110/16 اللآية، فكتبوا إليهم بذلك فخرجوا فلحقوهم فنجا من نجا وقتل من قتل.

نزول الآية (100):

[ومن يخرج من بيته]: أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلى بشند جيد عن ابن عباس قال: جرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا فقال لأهله: احملوني، فأخرجواني من أرض المشركين إلى رسول الله، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى البي، فنزل الوحي: [ومن يخرج من بيته مهاجرا] الآية.

ويقال: كان جندب بن ضمرة من بني ليث من المستضعفين بمكة، وكان مريضا، فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة، قال: أخرجوني، فهيئ له فراش، ثم وضع عليه وخرج به فمات في الطريق بالتنعيم[1]، فأنزل الله فيه: [ومن يخرج من بيته مهاجرا]

[1] التنعيم: موضع قرب مكة في الحل، يعرف بمسجد عائشة، منه يحرم المعتمر بالعمرة.

الآية.[2]

مفهوم الهجرة

الهجرة هي الإنتقال من موضع إلى موضع، وقصد ترك الأول إيثارا للثانى، والهجر ضد الوصل، وقد هجره هجرا وهجرانا، والإسم الهجرة، والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية، والتهاجر التقاطع.[3]

وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان لأسباب سنذكرها.

قال الراغب الأصفهاني: الهجرة الخروج من دار الكفار إلى دار الإيمان. وأصلها من الهجر الذي هو ضد الوصل، ومنه قيل للكلام القبيح (هُجر) لأنه مما ينبغي أن يهجر، والهاجرة : وقت الظهيرة لأنه وقت يهجر فيه العمل.[4]

فضائل الهجرة

إن فضائل الهجرة كثيرة وعظيمة منها :

1. أن من هاجر يكفر عنه سيئاته وأدخل الجنة، قال الله عز وجل: [فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب] (آل عمران: 195/3).
2. الحصول على النعم كثيرة في محل الهجرة، قال عز من قائل: [ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة] (النساء: 100/4).
3. الحصول على المغفرة، قال الله جل جلاله: [والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم] (الأنفال: 75/8).

---

[2] القرطبي، المرجع السابق: 349/5.
[3] القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (2 / 47) ط دار الحديث القاهرة.
[4] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص 53.

4. الحصول على الفوز والدرجة العليا، قال الله تعالى: [الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون] (التوبة: 20/9).
5. وغيرها من الفضائل الممتازة.

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الناجحة

حدثت حادثة مهمة وعظيمة في تاريخ الإسلام ألا وهي حادثة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة في ربيع الأول. هذه هي هجرة ناجحة عملها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وفي الهجرة نفسها خرج رجل إلى المدينة من أجل عشيقة يهواها، وشتان بين المهاجرين لعقيدتهم ودينهم وبين من يخطو خطوات الشهوة الصغيرة، تتحرك بصاحبها؛ فلا تفرق بينها وبين خطوات الدابة التي حملته، ورب قاعد في بلده أشرف نفسًا من هذا المهاجر التافه.

والهجرة ليست تخلصًا من فتنة أو فرارًا من أذًى، وإلا لم يكن هنالك مبرر للمكث ثلاثة عشر عامًا في هذا الجو الملبد بسحب الكفر والاضطهاد، إن الذي يبرر هذه المدة هو تمهيد المؤمنين بقيادة النبي -صلى الله عليه وسلم- لإقامة مجتمع جديد في بلد آمن ذهب إليه مصعب بن عمير ليستتبع الناس ويستقطبهم للإسلام؛ ذلك أن إقامة الدين في مجتمع مكة أضحى دونه خرط القتاد؛ لما اتصف به من عناد وجبروت، فلم يكُ يصلح لهذا الفكر، والدعوة ما زالت وليدة غضة طرية، والمسلمون قلة مستضعفة، فلم يكن هنالك بدٌّ من التهيئة للدين في مكان آمن، عندئذ يقوى المسلمون وتشب الدعوة.

ولا شك أن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة، وأصبح فرضًا على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده في تحصينه ورفع شأنه، وأصبح ترك المدينة -بعد الهجرة إليها- نكوصًا عن تكاليف الحق، وعن

نصرة الله ورسوله؛ فالحياة بها دين؛ لأن قيام الدين يعتمد على إعزازها".

قانون السببية في الحياة

الأخذ بالأسباب دين، لم يقل النبي -صلى الله عليه وسلم-: إننا أوذينا وأخرجنا من ديارنا؛ فعناية الله ينبغي أن تلاحقنا، وحماية الله يجب أن تحوطنا، ولا حرج في بعض التقصير فإن الله سيجبر الكسر ويسد النقص... إلى آخر هذا الكلام، لم يقل النبي هذا، إنما استنفد كل وسيلة بشرية يمكن أن تؤخذ، فلم يترك ثغرة، ولا أبقى في خطته مكانًا يكمله الذكاء والفطنة.

ومع أن محمد بن عبد الله -عليه السلام- أولى الناس بتوفيق الله ورعايته، وأجدر الخلق بنصره وعنايته؛ فإن ذلك لا يغني عن إتقان التخطيط وإحكام الوسائل وسد الثغرات شيئًا مذكورًا.

ومن هنا جعل -صلى الله عليه وسلم- يفكر في الاختباء في الغار وفي تضليل أعدائه؛ فكان يتجه جنوبًا وهو يريد أن يتجه إلى الشمال، وأخذ راحلتين قويتين مستريحتين حتى تقويا على وعثاء السفر وطول الطريق. وهذا دليل مدرَّب ليعرف ما هنالك من وجوه الطرق والأماكن التي يمكن السير فيها بعيدًا عن أعين الأعداء، وهذا علي بن أبي طالب ينام مكانه ليضلل الكافرين، وذلك يسير بالأغنام وراءهما يمحو آثار المسير، ولكي يكون على دراية تامة باتجاهات العدو ونواياه تأتيه الأخبار عن طريق راعي أبي بكر، كما أتت بعض الأغذية عن طريق بنت أبي بكر... هل بقي من الأسباب شيء لم يؤخذ، أو من الوسائل لم يستنفد، أو من الثغرات لم يُسد؟ كلا كلا..

إن منطق الإسلام هو احترام قانون السببية؛ لأن الله تعالى لا ينصر المفرطين ولو كانوا مؤمنين، بل ينتقم من المقصرين المفرطين كما ينتقم من الظالمين المعتدين، "وإذا تكاسلت عن أداء ما عليك وأنت قادر، فكيف ترجو من الله أن يساعدك وأنت لم

تساعد نفسك". كيف ينتظر المرء من الله أن يقدم له كل شيء وهو لم يقدم له شيئًا؟!

وليس معنى الأخذ بالأسباب الاعتماد عليها، بل الطريقة المثلى في التصور الإسلامي أن يقوم المسلم بالأسباب كأنها كل شيء في النجاح، ثم يتوكل على الله كأنه لم يقدم لنفسه سببًا، ولا أحكم خطة، ولا سد ثغرة.

وهذا هو الفرق بين موقف المؤمن والكافر من الأخذ بالأسباب؛ فالمؤمن يأخذ بالأسباب ولا يعتمد عليها ولا يعتقد أنها هي التي تفعل أو تترك، بل يؤمن أن الأمور بيد الله، وأن النتائج تتم بقدرة الله، وأن شيئًا لا قيام له إلا بالله.

بينما يعتقد الكافر -إن جاز أن تكون له عقيدة- أن الأسباب هي الفاعلة والمعوَّل عليها، ولا علاقة لها بالتوفيق الأعلى.

إذن فالإسلام يحترم قانون الأخذ بالأسباب، غير أن المسلمين لم يكونوا على مستوى دينهم مع هذا القانون، يقول الشيخ في ذلك متحسرًا: "ومع حرص الإسلام على قانون السببية، وتنفيذ النبي -صلى الله عليه وسلم- له بدقة؛ فأنا لا أعرف أمة استهانت بقانون السببية وخرجت عليه وعبثت بمقدماته ونتائجه كالأمة الإسلامية".

بعد هذا ربما يتساءل البعض: لماذا كون ابتداء السنة الهجرية كان من المحرم لا من الشهر الذي وقع فيه الهجرة وهو ربيع الأول؟

قد أبدى بعض العلماء للبداءة بالهجرة مناسبة فقال: قد كانت القضايا التي اتفقت له صلى الله عليه وسلم ويمكن أن يؤرخ بها أربع:

(1) مولده صلى الله عليه وسلم
(2) مبعثه صلى الله عليه وسلم
(3) هجرته صلى الله عليه وسلم
(4) وفاته صلى الله عليه وسلم

فرجح عندهم جعلها من الهجرة، لأن المولد والمبعث لا يخلو واحد منهما من النزاع في تعيين سنته. وأما وقت الوفاة فأعرضوا عنه لما يوقع تذكره من الأسف عليه. فانحصر في الهجرة.

وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم، لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم، إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة فهي مقدمة الهجرة فكان أول هلال إستهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال محرم، فناسب أن يجعل مبتدأ لسنة التاريخ.[5]

قال ابن حجر: وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الإبتداء بالمحرم، وهذا هو المشهور في كون بدأ التاريخ كان من المحرم من السنة نفسها.[6]

وبعد ذلك ربما نشأ السؤال الثانى: من أول من أرخ التاريخ؟

إبتدع هذه البدعة - بمعناها اللغوي[7] - السيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. هو الذي أول من عمل التبريخ الهجري، وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة وهي السنة الرابعة من خلافته رضي الله عنه، وبدأه بالسنة الأولى من الهجرة في شهر محرم، هذا هو الصحيح المشهور، وهو قول جمهور العلماء، وهو قول عمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم.[8]

قلت: نعمت البدعة هذه.

أسباب الهجرة إلى المدينة في صدر الإسلام

هناك أسباب كثيرة لهذه الهجرة الناجحة منها:[9]

1. التمكين من إقامة شعائر الدين والبعد عن الاضطهاد الديني، فعلى كل مضطهد البحث عن مكان يأمن فيه، وإلا ارتكب إثما كبيرا.
2. التمكن من تعلم أمور الدين والتفقه في أحكامه، فعلى كل مسلم يقيم في بلد ليس فيه علماء يعلمون أحكام الدين أن يهاجر إلى بلد يتلقى فيه العلوم الدينية.

---

[5] الشفاء في تاريخ الخلفاء ص (13).

[6] السخاوي، الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص(6-7، 79، 78، 10)، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (267/7)،

[7] ما ليس له مثال سابق.

[8] د. إبراهيم القريبي، الشفاء في تاريخ الخلفاء ص (12)، مؤسسة الروّاد، الحديدة، اليمن.

[9] الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (5-232/6)، دار الفكر دمشق سورية و دار الفكر المعاصر بيروت لبنان 1998م.

3. الإعداد لإقامة دولة الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية في أنحاء الأرض والدفاع عنها وعن الدعاة إلى الله تعالى.

هذه الأسباب سارية إلى فتح مكة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استُنفرتم فانفروا ".[10]

قال الزحيلي: " ويلاحظ أنه إذا وجدت الدواعي للهجرة وتوافر أحد الأسباب المتقدمة، وجبت الهجرة في أي عصر وزمان.[11]

محاولة اعتقال الرسول صلى الله عليه وسلم

وفي حديث القرآن عن المؤامرة التي عقدها المشركون في دار الندوة للقضاء على الرسول صلى الله عليه وسلم: " وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ "، نلحظ في ختامها طمأنة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، فرغم محاولة المشركين اعتقال الرسول صلى الله عليه وسلم "ليثبتوك" أو القضاء عليه "أو يقتلوك"، أو النفي خارج البلد "أو يخرجوك"، وهي وسائل قديمة حديثة، لكن يأتي تثبيت الله لرسوله صلى الله عليه وسلم "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"، ففيها عظة لكل مؤمن بالله تعالى ما دام على الحق أن يثبت عليه، فإن مكر له الخلق، فإن الخالق حاميه من كل شر، وهذا ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يربي عليه ابن عباس رضي الله عنهما حين قال له: "ياغلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".

---

[10] رواه الشيخان وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنه (الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (5-232/6)، دار الفكر دمشق سورية و دار الفكر المعاصر بيروت لبنان 1998م.)

[11] الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (5-232/6)، دار الفكر دمشق سورية و دار الفكر المعاصر بيروت لبنان 1998م.

الحرس الملائكي في الهجرة

وفي الآية الأخرى: "إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"، نلحظ استشعار النبي صلى الله عليه وسلم لمعية الله سبحانه وتعالى، فرغم خوف أبي بكر من المشركين الذين عبر عنهم بقوله: "يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا"، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، الله ثالثهما، يا أبا بكر، لا تحزن، إن الله معنا"، إن المسلم الذي يسير في طريق الله يجب أن يستشعر بأن الله معه، فينزل هذا على قلبه الطمأنينة والسكينة على قلبه، وهذا ما طمأن الله تعالى به موسى حين خاف الذهاب إلى فرعون، وقال لله: " قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى"، وتعلم موسى الدرس حين خاف بنو إسرائيل من فرعون حين جاء وراءهم بخيله ورجاله، وقال بنو إسرائيل: "إنا لمدركون"، فرد عليهم موسى: "كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ".

وحين يكون المؤمن على حق، فليوقن أن الله تعالى سيحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين، فلله جنود السماوات والأرض، وقد حفظ الله تعالى رسوله بملائكته، لا كما ورد في الروايات الضعيفة من حكاية الحمامتين والعنكبوت، وأصبحت معلما من معالم السيرة، فظاهر القرآن يقول: "وأيده بجنود لم تروها"، وهي الملائكة، فقد حمى الله رسوله بملائكته حين خرج من بيته، وحماه في الغار، فكانت الملائكة تحرس المكان، وتمنع المشركين من الوصول إليه، مع كونهم وصلوا إلى المكان، ومع كون الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بكل الأسباب الممكنة، ولكن كانت الحماية بملائكة الله تعالى، وهو تعليم للمسلمين الذين يأخذون بالأسباب، ويبذلون كل ما في وسعهم، فإن الله تكفل بحمايتهم من كل شر، فقد يكاد للمرء في

عمله، لأنه مخلص، أو لأنه يحارب الفساد والحرام، ويتكالب عليه الناس، ويكيدون له، فعليه بالأخذ بالأسباب، مع الاستعانة بالله تعالى، فإن الله تعالى سيحميه كما حمى رسوله صلى الله عليه وسلم.

الحماية لجميع المؤمنين

ولا يظن أن حماية الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالملائكة خاصة به وحده، فإن من أهم وظائف الملائكة حماية المؤمنين الصادقين، وقد قال تعالى: "لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ"، وقد ورد أن المرء إذا قرأ آية الكرسي قبل أن ينام لا يزال عليه حفيظ من الله حتى يستيقظ.

"وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا"، فدائما ما تكون كلمة الباطل واهية، وكلمة الحق ثابتة راسخة، وإن الحق دائما يحمل في طياته أسباب قوته واستمراره، وإن الباطل يحمل في جنباته أسباب انهياره، مهما بدا عظيما، فإنه كغثاء السيل، يهيج في البحر بلا شيء يفعله.

أقسام الهجرة

قسّم ابن العربي الهجرة إلى ستة أقسام:

الأول _ الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم مع غيرها من أنواعها. وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، التي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان، فإن بقي في دار الحرب عصى، ويُختلف في حاله كما تقدم بيانه.

الثاني _ الخروج من أرض البدعة: قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم ببلد يُسب فيها السلف. قال ابن العربي: هذه صحيح، فإن المنكر إذا لم تقدر على تغييره فزُل عنه، قال الله تعالى: [وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى

مع القوم الظالمين].[12]

الثالث _ الخروج عن أرض غلب عليها الحرام: فإن طلب الحلال فرض غلى كل مسلم.

الرابع _ الفرار من الإذاية في البدن: وذلك فضل من الله عزّ وجلّ أرخص فيه، فإذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها عن ذلك المحذور.

الخامس _ خوف المرض في البلاد الوخمة والخروج منها إلى الأرض النزهة: وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم للرّعاء حين استوحموا المدينة أن يتنزهوا إلى المسرح، فيكونون فيه حتى يصحوا. وقد استثني من ذلك الخروج من الطاعون، فمنع الله سبحانه منه بالحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، بيد أني رأيت علماءنا قالوا: هو مكروه.

السادس _ الفرار خوف الإذاية في المال: فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله أو آكد.[13]

حكم الهجرة من بلاد المسلمين المحتلة

أصبح الآن كثير من البلاد المسلمة تحتلها اليهودية الصهيونية الممثلة في أمريكا وإنجلترا وحلفائهما من دول الغرب الكافرة وغيرها. أنظر إلى العراق المسلمة والأفغان المسلمة وفلسطين المسلمة – جعل الله القويّ تلك البلدان الحبيبة مستقلة وأمنا ومحفوظة وغالبة وقوية وجعل أهلها مستقلين وآمنين ومحفوظين وغالبين وأقوياء - تحتلها أمريكا وحلفائها الكافرة الملعونة – ضعّف الله القويّ جنودها وجعلهم مغلوبين مهزومين خاسرين.

إذا في هذه الحالة ماذا يعمل أهل تلك البلاد المسلمة المحتلة؟ الهجرة أو الجهاد؟

---

[12] الأنعام: 68/6.

[13] إبن العربي، أحكام القرآن (484/1-486)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (349/5 وما بعدها)، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (5-232/6- 233)، دار الفكر دمشق سورية و دار الفكر المعاصر بيروت لبنان 1998م.

أقول وبالله التوفيق: هذا شيئ عظيم، وأنا كباحث – إن صحّ التعبير – سأحاول على حله بقدر الإستطاعة. إن أصاب الجواب فيحتمل الخطأ، وإن أخطأ فيحتمل الصواب، والعياذ بالله من الخطأ في الجواب.

لكي يعرف الجواب لابد عرض الحالتين التاليتين هما:

الحالة الأولى:

إذا هاجم الكفار بلدة من بلاد المسلمين أو نزلوا على جزائر أو جبال في دار الإسلام ولو بعيدا عن البلد يتعين الجهاد على من لا عذر له من أهل تلك البلدة، وهذا محل اتفاق بين الفقهاء[14].

ولكن هل يلزم على من يقرب من أهل تلك البلدة؟ قالت الشافعية: ومن هو دون مسافة قصر من البلدة حكمه كأهلها، ومن على مسافة قصريلزمهم الموافقة بقدر الكفاية إن لم يكف أهبها زمن يليهم.[15] وعند المالكية والحنفية تعين الجهاد أيضا على من يقرب أهل تلك البلدة أن عجزوا عن دفع العدو بأنفسهم. إلا أن المالكبة قالوا: محل ذلك أن لم يخشوا على نسائهم وبيوتهم من عدو يهجمهم، وإلا فلا يتعين عليهم.[16] والدليل على تعين الجهاد في هذه الحالة قول الله تعالى: [إنفروا خفافا وثقالا] التوبة: 41/9 قيل: نزلت في النفير.[17]

الحالة الثانية:

إذا استنفر الإمام المسلمين لزمهم النفير معه[18] لقوله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (38) إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير(39)] (التوبة: 38/9-39) ولقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: (وإذا استنفرتم فانفروا

---

[14] النووي، منهاج الطالبين ص 307، الكاساني، بدائع الصنائع: 98/7، الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك: 13/3، ابن قدامة، المغني: 366/10. (راجع مؤلفنا: أحكام المجاهدين في الإسلام، ما لهم وما عليهم ص 13-14).

[15] النووي، نفس المرجع.

[16] ابن الهمام، فتح القدير: 423/5، الدردير، نفس المرجع.

[17] الكاساني، نفس المرجع.

[18] ابن قدامة، نفس المرجع، الدردير، نفس المرجع، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: 406/4.

) رواه البخاري.[19] قال ابن حجر في الفتح: وفيه وجوب تعيين الخروج في الغزو على من عيّنه الإمام.[20]

في كل هجرة فتح

ومن العجيب ذلك الارتباط بين الهجرة والفتح، الذي قد نلمحه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح"، فيفهم منها أن الهجرة كانت فتحا، وكل هجرة يفعلها المسلم يكون بعدها فتح له من الله سبحانه وتعالى، فالذي يهجر الكسب الحرام، فليبشر بفتح من الله تعالى رزق واسع منه، ومن ترك وظيفة لأنها حرام، فإن الله سيبدله فتحا؛ وظيفة خيرا منها، ومن ترك الزنى المحرم، رزقه الله تعالى الزوجة الصالحة، خيرا مما كان فيه، وهكذا، وذلك لأن الإنسان إن كان يترك الشيء لله، فليس هو بأكرم من الله، فإن الله مبدله خيرا، وقد قال تعالى: "وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ".

خاتمة

وفي الهجرة نحن في حاجة أن نوقن بمعية الله تعالى لنا، وأن نوقن أن الملائكة جنود لله، يحمي بها عباده الصالحين على مر العصور والدهور، وأن الهجرة إن كانت تعني الترك، فإن كل ترك لله، سيبدله الله تعالى بخير منه لعباده الصالحين، ومصداق هذا تجارب الصالحين في وظائفهم، وعلاقتهم مع الناس في البيت والشارع والمسجد والجامعة والحقل وفي كل مكان.

---

[19] البخاري، الجامع الصحيح: 406/4 حديث رقم 980.
[20] إبن حجر العسقلاني، المرجع السابق: 47/6.

المصادر والمراجع

أحمد هداية ناصر

أحكام المجاهدين في الإسلام، ما لهم وما عليهم، (حث تخرج) مكتبة جامعة الأحقاف، حضرموت، اليمن، 2001هـ .

البخاري (أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل)

الجامع الصحيح، دار القلم، بيروت، لبنان، 1407هـ .

إبن حجر العسقلاني

فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1411هـ .

الدردير (أبو البركات أحمد بن محمّد)

الشرح الصغير على أقرب المسالك.

الراغب الأصفهاني

المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الزحيلي (أ. د. وهبة)

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، سورية ودار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان 1998م

السخاوي

الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ.

إبن قدامة (أبو محمّد بن عبد الله بن أحمد بن محمّد)

المغني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

القرطبي (أبو عبد الله محمّد بن أحمد)

الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

القريبي (د. إبراهيم إبراهيم)

الشفاء في تاريخ الخلفاء، مؤسسة الروّاد، الحديدة، اليمن.
الكاساني (علاء الدين أبو بكر بن مسعود)
بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ.
النووي (أبو زكريا يحيى بن شرف)
منهاج الطالبين، مكتبة الثقافة، عدن، اليمن.
إبن الهمام (كمال الدين محمّد بن عبد الواحد السكندري)
فتح القدير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ.